لغة – كلام الاستلام: 2026/04/24 القبول: 2026/11/01 النشر: 2026/11/26

أسلوب التقديم والتأخير في أحاديث الأخلاق -أغراضه ومقاصده. نماذج مختارة من الأربعين النووية

✍ محمد الشريف بن عبدي
m.benabdi@univ-eltarf.dz
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف/الجزائر

✍ هشام فروم
Ferroum-hicham@univ-eltarf.dz
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف/الجزائر

ملخص البحث

يُعد الخطاب النبوي من أرقى أنواع الخطابات الإبلاغية بعد القرآن الكريم باعتبارتشكلاته اللغوية المختلفة، فهو يمثل رسالة لغوية ناجحة، ونصا يمتلك قدرات تواصلية تمتد إلى النفوس، وذلك من خلال الأساليب اللّغوية المُكوِّنة لبنائه، والمُؤلِفة لوحداته، ومن بين أقوى هذه الأساليب المُشَكِلة لأغراضه نذكرأسلوب التقديم والتأخير، وهو من الأساليب اللغوية الذي لا يستغني عنه كلام منطوق، أو نص مرموق، فيه تكون شعرية القول وأدبيته، فلا شك أيضا أنّه سبب من الأسباب المهمة التي شكلت أبرزدلالات الخطاب النبوي، خاصة إذا تتبعنا أغراضه الأخلاقية ومقاصده التربوية، فتقديم الأهم وتأخير المهم، وترتيب الضروريات وتنظيم الأحكام وتوضيح الأولويات، أساسها تقديم ما يجب أن يُقدَّم، وتأخير ما يجب أن يُؤَخَّر، فبلاغة أسلوب التقديم والتأخير في الخطاب النبوي الأخلاقي والتربوي مقصد شرعي، به تستقيم أخلاق المسلم، وتنتظم حياته، من هذا المنطلق جاء هذا المقال ليبحث في هذه الأغراض والمقاصد التربوية والأخلاقية في أحاديث الأربعين النووية، انطلاقا من أنماط أسلوب التقديم والتأخيرالمتنوعة المبثوثة في النماذج المختارة منه.

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير؛ أحاديث الأخلاق؛ أنماط التقديم؛ الأغراض؛ الأساليب اللغوية.

LOUGKA - KALAM Reçu le: 24/04 / 2026 Accepté le: 01/11 / 2026 Publié le: 26/11 / 2026

The Style of Introduction and Delay in Hadiths on Ethics – Their Purposes and Objectives. Selected examples from the Forty Hadiths of Nawawi

✍ Hicham ferroum
Ferroum-hicham@univ-eltarf.dz
University of Chadli Bendjedid El Tarf/Algeria

✍ Mohamed cherif Benabdi
m.benabdi@univ-eltarf.dz
University of Chadli Bendjedid El Tarf/Algeria

ABSTRACT:

Prophetic discourse is considered among the most refined forms of communication after the Holy Quran, given its diverse linguistic structures. It represents a successful linguistic message and a text possessing communicative capabilities that resonate deeply with people. This is achieved through the linguistic methods that constitute its structure and compose its units. Among the most powerful of these methods, which shape its purposes, is the technique of fronting and delaying. This is an indispensable linguistic device for spoken language and distinguished texts, as it embodies the poetic and litera of the discourse. Undoubtedly, it is also a significant factor that has shaped the most prominent meanings of prophetic discourse, especially when we examine its ethical and educational objectives. Prioritizing the most important and delaying the important, arranging necessities, organizing rulings, and clarifying priorities are all based on presenting what should be presented first and delaying what should be delayed. The eloquence of the technique of fronting and delaying in the ethical and educational discourse of the Prophet is a legitimate objective, through which the Muslim's morals are rectified and his life is ordered. From this perspective, this article explores these educational and ethical purposes and objectives in the Prophetic discourse. The Forty Hadiths of Nawawi, based on the various patterns of fronting and delay found in the selected samples.

KEYWORDS: Advancing and delay; morale discourses; advance patterns; purposes; linguistic styles

1.مقدمة:

لا تنفك لغة النصوص العربية النثرية منها والشعرية تُبدي لنا من بلاغة تراكيبها وأسرار أساليبها وجماليات صورها ما تُدهشنا به، وتُثبت لنا مواهب أصحابها وتمكنهم في الفصاحة وحُسن التصرف في الكلام تبعا للأغراض والمقاصد، فإذا كان هذا هو حال لغة هؤلاء الفصحاء من الناس، فكيف هي حال لغة أفصح الخلق، محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي لا ينطق عن الهوى، فهو الذي مَكَّنه الله عز وجل من فنون القول والبيان وأساليب الفصاحة العربية ما لم يبلغه أحد من الرجال، لهذا وذاك، وقع اختيارنا في هذه الدراسة على أسلوب من أساليب اللغة العربية، الذي شكل إعجاز البلاغة النبوية، وهو أسلوب التقديم والتأخير، محاولين تتبع أغراضه الأخلاقية ومقاصده التربوية في نماذج من مُؤَلَّف الأربعين النووية للإمام النووي -رحمه الله-، وقد اخترنا هذا المؤَلَّف بالذات ليكون مدونة الدراسة لأنّه أحد الكُتب المشهورة في الحديث، إضافة إلى أنّه احتوى بين دفّتيه على أحاديث تمثل أصول الدين وقواعد الشريعة، والتي لها صلة مباشرة بالأخلاق، ومَن تَمكَّن من أصول الدين فقد تمكن من الدين كله، وكان عنوانا للأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة التي ينشدها كل مسلم، وهي نفسها الغاية التي جعلت لهذا الموضوع أهمية بالغة في البحث، إضافة إلى ما يُمثله النص النبوي بالنسبة للقرآن الكريم باعتباره معجما لآياته وبيانا لمقاصده، كذلك فإن أهمية الموضوع تكون بقدر أهمية الدلالات المُكتَشَفة خاصة وأنّ النماذج المُختارة لم يُسبق تناولها بالتطبيق فيما يخص التقديم والتأخير فيما أعلم. وقد سبقت هذه الدراسة دراسات سابقة عنيت بالتقديم والتأخير في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن اختلفت عنها من حيث المدونة فهي لم تكن محلا للبحث من قبل هذه الدراسات ، من حيث النماذج المختارة ولا من حيث الأغراض، لذلك كان هدفنا من هذه الدراسة هو التفتيش في ثنايا هذه النماذج عن أنواع أسلوب التقديم والتأخير المُوظفة فيها والأغراض المقصودة منها ودلالات هذه الأغراض، وقد تمّ تحديد هذا الهدف انطلاقا من سؤال تبادر إلى الذهن عن الأحاديث النووية باعتبارها حاملة لأخلاق النُبوّة، وبعد متابعة وتدقيق لأساليب لغتها في بعض نماذجها، وهو: كيف وَظَّف النبي -صلى الله عليه وسلم- أسلوب التقديم والتأخير في أحاديثه ليصل من خلالها إلى مقاصد وأغراض معينة أراد تبليغها إلى أصحابه وإلى مَنْ بعدَهُم؟

وقد كان منهجنا في الدراسة وصفيا باستقراء نماذج من أحاديث النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- المبثوثة في المدونة المذكورة، واستخراج أنماط أسلوب التقديم والتأخير فيها، مع ذكر كيفيتها وأغراضها والدلالات والمقاصد منها، ثم التعليق عليها ما أمكن ذلك.

2. مفهوم أسلوب التقديم والتأخير:

يُعتبر أسلوب التقديم والتأخير من الظواهر اللغوية الدالة على مرونة اللغة العربية، تَدُلّ عليه قواعد النحو ومسالك البلاغة، فهو بين هذا وذاك سبب في فصاحة القول، وبيان القصد، وحُسن السَبْك، يلجأ إليه المتكلم لحاجة في نفسه يُريد قضاءها، فيُقَدِّم الأهم، ويُؤَخِر المُهم، وهو إلى جانب ذلك عادة العرب في كلامهم. وقد أشار إليه النحاة والبلاغيون ودرسوه في كُتُبهم منذ سيبويه (180ه) ومن تلاه من النحويين كالمبرَّد(285ه) وغيرهم من النحاة، إلى عبد القاهر الجرجاني(471ه) ومن تلاه من البلاغيين، وهذا ما سوف نراه في الأسطر التالية.

1.2 التقديم والتأخير في عرف النحاة:

إنّ أسلوب التقديم والتأخير من قواعد اللغة التي يُضبَط بها الكلامُ وفقا لشروط وضعها النحاة الأوائل بعد استقصاء العربية عند أهلها، فقد كان من عادة العرب أن يُقدِّموا ويُؤخروا في أقوالهم ليُفصحوا عن معنى في نفوسهم، وهو من سليقة اللغة لديهم، لذلك كان التقديم والتأخير في عُرف النحاة من أسباب العناية بما قُدِّم، ولأنّ ذِكره كان أهم، هذا ما كانوا عليه إجمالا، ولم يُفصِّلوا فيه كثيرا، فالقاعدة النحوية هي التي تكشف عن التقديم والتأخير في أصل الجملة، والجملة الأصل هي التي تتكون من (مسند إليه + مسند + فضلة) إذا كانت اسمية، ومن (مسند + مسند إليه + فضلة) إذا كانت فعلية، والجملة بهذا الترتيب هي جملة عادية أو جملة أصل وظيفتها الإخبار، أمّا إذا تغير الترتيب وقُدّم أحد طرفي الإسناد أو الفضلة على غيره وأُخِر الآخر، فهذا يُعتبر خروجا عن الأصل، ويكون بشروط وضعها النحاة، وهو عندهم من باب الفهم والإفهام لا غير، فنجد سيبويه الذي كان أوّل من خاض في التقديم والتأخير في مباحث متفرقة من الكتاب، وذلك من أجل أن يُبَيِّن أثر تغيير الترتيب بين عناصر التركيب في صحة الكلام من عدمه وأهمية المُقَدَّم، فيقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول: "فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدًا عبدُ الله؛ لأنك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيّد كثير، كأنهم إنما يُقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم" (سيبويه، 1983، ص34).

فالتقديم عند سيبويه إنما هو للعناية والاهتمام بالمُقدَّم، لأنّه عندهم أهم. وقد سار النحاة بعد سيبويه على نفس منهجه، واقتبسوا من كتابه، مع بعض التحفظات من هنا وهناك، فنجد المبرد مثلا يجعل إمكانية وقوع الخبر جملة فعلية، في حين أنّ سيبويه لم يُعلق على ذلك لا بالجواز ولا بالمنع، "فإذا قُلتَ: عبد الله قام، فـ(عبد الله) رفع بالابتداء، و(قام) في موضع الخبر، وضميره الذي في قام فاعل" (المبرد، 1994، ص128). وهو هنا يَرُدُّ على الذين قالوا إنّ مثل هذه الجملة فعلية قُدِّم فيها الفاعل على عامله،

ويُعقب على ذلك فيقول: "أنَّ (قام) فعل، ولا يرفع الفعل فاعلين إلاّ على جهة الإشراك؛ نحو: قام عبد الله وزيد، فكيف يرفع عبد الله، وضميره" (المبرد، 1994، ص128).

2.2 التقديم والتأخير في عرف البلاغيين:

كان عبد القاهر الجرجاني أوّل من فصّل في المفهوم الحقيقي للتقديم والتأخير وعلاقته بنظم الكلام شكلا ومحتوى، وجعله سببا في جودة الشعر وحسن النظم، فهو عنده "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا، يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول فيه اللفظ عن مكان إلى مكان" (الجرجاني، 2000، ص106)، وبذلك يكون قد تجاوز مفهوم العناية والاهتمام إلى مفهوم النظم، وعلاقته بالمعنى والقصد. وقد كان يعتمد على قواعد النحو أيضا، لأنّه كان نحويا قبل أن يكون بلاغيا، ويُدرك جيدا دور قواعد النحو ومعانيه في العناية بنظم الكلام العربي، لكنه كان دائما يربط بين ما تقتضيه قواعد النحو، وما تتطلبه معاني البلاغة، فكان يقول: "إنّ اللفظ تبع للمعنى في النظم، وإنّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس" (الجرجاني، 2000، ص56). فالمعاني التي نقصدها في أنفسنا ونريد أن نوصلها إلى غيرنا، تكون مرتبة ترتيبا معينا ينتج عنه ترتيب الألفاظ الموافقة لها في النطق، ويكون هذا الترتيب في الألفاظ موافقا لقواعد النحو، وهو حقيقة النظم، وبما أنّ هذا الأخير يعمل وفق قوانين النحو، فإن اهتمامه بالتقديم والتأخير من بين أولى الأولويات لتعلقه بالمعنى والقصد، وقد جعله على وجهين: تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير، أمّا الأول فيكون فيه المُقدَّم محتفظا بحكمه النحوي كما كان مُؤخرا، كتقديم الخبر على المبتدأ في قولك (قائم محمد)، فقائم يبق خبرا مرفوعا حتى لو قُدِّم. وأمّا الثاني فيختلف الحُكم النحوي للمُقدَّم على حكمه مُؤخرا، كقولك (محمد القادم) أو (القادم محمد)، فتقديم محمد في الأول جعله مبتدأ، وتأخيره في الثاني جعله خبرا.

3. مفهوم الحديث النبوي الشريف:

هو كل أثر منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله أو أفعاله أو صفاته أو ما قرره وسكت عنه، منقولا إلينا عبر الرواية الصحيحة والمثبتة بشروطها، وهو المصدر الثاني في الاحتجاج والتشريع بعد القرآن الكريم، كما أنّه المصدر الأول في شرح وتفسير وتبيين كتاب الله المنزل دستور المسلمين، فقد قال الله تعالى عنه: ﴿بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾النحل 44، فالحديث النبوي مُبيّن لكتاب الله عز وجل ومُوضِح له، وهو من حيث اللفظ والمعنى ينقسم إلى نوعين: حديث قدسي، وحديث نبوي، أمّا الأول فهو ما كان معناه منسوبا إلى الله تعالى قَطْعاً وبلفظ الرسول -صلى

الله عليه وسلم-، وأمّا الثاني فمعناه قد يكون منسوبا إلى الله أو إلى الرسول وبلفظ الرسول. وهو ينقسم من حيث الصحة والضعف إلى ثلاثة أقسام: حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث ضعيف.

أ- الحديث الصحيح: هو ما اتصل سنده نقلا عن العدول الثقات الضابطين، نقلا عن أمثالهم حتى ينتهي السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع السلامة من الشذوذ والعلّة.

ب- الحديث الحسن: هو ما اتصل سنده نقلا عن العدول الثقات خفيفي الضبط، وسلم من الشذوذ والعلة.

ج- الحديث الضعيف: وهو ما لم تتحقق فيه صفات الصحيح أو الحسن.

وإذا تكلمنا عن لغة الحديث النبوي الشريف فلن نجد أبلغ وصفا من أهل البلاغة أنفسهم، كما قال فيه الجاحظ :" هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ص 84..." (الجاحظ، 1998، ص16).

4. التعريف بمُؤَلَّف الأربعين النووية:

هو كتاب في الحديث النبوي الشريف، جمع بين دفتيه ما يربو عن الأربعين حديثا، تُمثل أصول الدين والأخلاق وقواعد الشريعة، وسُميت النووية نسبة إلى جامعها الإمام النووي -رحمه الله- الذي أخلص في جمعها وانتقائها من أحاديث عديدة، وفي أبواب متفرقة، وبسبب إخلاصه وصدق نيته، اشتهرت هذه الأربعون وانتشرت في العالم الإسلامي، وتناولها طلبة العلم بالحفظ والدراسة، والعلماء بالشرح والإعراب، فنجد من بين اجتهادات العلماء وطلاب العلم فيها:

- شرح الأربعين النووية لمحمد بن صالح العثيمين.

- إعراب الأربعين حديثا النووية لحسني عبد الجليل يوسف.

- البلاغة النبوية في الأربعين النووية، رسالة ماجستير من إعداد الطالب: خالد عبد العزيز الزويع.

- البلاغة النبوية، دراسة بيانية في الأحاديث الأربعين النووية لهنيئة مختار.

- بناء الجملة في الأربعين النووية، رسالة ماجستير من إعداد الطالب: محمد عمر إسماعيل يحي.

5. ترجمة الإمام النووي: (الدقن، 1994).

هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، وقد سُمي بالنووي نسبة لنوى من أرض حوران في دمشق، ويُلقب بمحيي الدين، وُلِد في شهر محرم من سنة إحدى وثلاثين وست مئة للهجرة، ختم القرآن وهو صبي لم يبلغ الاحتلام، قدم مع والده إلى دمشق وهو ابن تسع عشرة سنة، لطلب العلم في حاضرة

العلوم والعلماء، وقد مكث بها يطلب العلم والمعارف المختلفة حتى وفاته -رحمه الله- سنة ست وسبعين وستمئة للهجرة، وكان أول من لازم حلقته يأخذ منه العلم، مفتي الشام تاج الدين الفركاح، ثم انتقل إلى الرياحية عند الشيخ الكمال إسحاق المغربي، وأخذ عنه نصيبا من العلم ليس بالكثير، ثم لازم بعد ذلك عدة شيوخ، من بينهم: عبد الرحمن بن نوح مفتي دمشق، وعمر بن أسعد الإربيلي، وأبو الحسن سلار، وإبراهيم بن عيسى المرادي، ... وغيرهم من الذين نبغ نجمه بفضلهم. فقد كان فقيها محدثا لغويا، ويظهر ذلك في مؤلفاته الكثيرة التي نذكر منها: شرح مسلم، رياض الصالحين، التبيان، الإيضاح في المناسك، مناقب الشافعي، أدب المفتي والمستفتي، وأخيرا الأربعين النووية المدونة قيد الدراسة. رحم الله الإمام النووي، وشكر له سعيه هذا من أجل العلم، وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

6. أغراض ومقاصد التقديم والتأخير في الأحاديث المختارة:

إنّ التقديم والتأخير في اللغة العربية هو عدول عن العادة في الكلام، وخروج عن أصل القول، ويكون إمّا لمعان ومقاصد أراد المُخاطِب إيصالها للمُخاطَب، وإمّا للعناية والاهتمام بالمُقَدَّم، وفي أحاديث النبيّ -صلى الله عليه وسلم- من المعاني والمقاصد ما يدعو للاهتمام والدراسة، خاصة إذا ما تعلق منها بأخلاق المسلم التي هي أساس الشريعة ومنهجها القويم، لذلك بحثنا في أغراض ومقاصد التقديم والتأخير في مواضعه في نماذج من أحاديث الأخلاق المبثوثة في الأربعين النووية كما يلي:

1.6 تقديم المفعول به على الفاعل:

يُعتبر المفعول به من متعلقات الجملة الفعلية، ويكون تقديمه على الفاعل جوازا من باب العناية والاهتمام، وأحيانا من باب الوجوب، أما جوازا فمثال ذلك قولك: أخذ الكتابَ محمدٌ. وأما الوجوب فله حالات هي:

- أن يكون الفاعل محصورا بـ (إلاّ)، كما في قوله تعالى: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ... ﴾ ءَالِ عِمْرَانَ (7)، أو بـ (إنّما) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْاَخِرِ...﴾ ٱلتَّوْبَةِ 18.

- إذا كان الفاعل معطوفا عليه كلمات أخرى، وجب تقديم المفعول به عليه حتى لا يُنسى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ...﴾ ٱلنِّسَآء 8.

- إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجب تقديم المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ٱلْبَقَرَة 123.

- أن يكون المفعول ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا، كقوله تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْاَلْبَٰبِ﴾ الزمر 17.

وقد جاء تقديم المفعول به على الفاعل في عدّة مواضع نذكر منها:

الحديث التاسع: النهي عن كثرة السؤال والتنطع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" (النووي، 2009، ص60).

جاء التقديم والتأخير في هذا الحديث في جملة: (فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ)، وذلك بتقديم (الذين) وهو اسم موصول في محل نصب مفعول به مقدم، على (كثرة مسائلهم) الذي هو فاعل مؤخر، ومن أغراض تقديم المفعول به على الفاعل هو الاهتمام بالمفعول والتشويق لما يأتي بعده، وقد قُدِم هنا (الذين) للتشويق وانتظار معرفة ما الذي أهلكهم، فلذلك جاء الجواب مؤخرا وهو (كثرة مسائلهم)، ومعرفة الجواب بعد التشويق له هو مدعاة للاهتمام بمحتواه والعمل عليه، فمن أخلاق المسلم في هذا الحديث، عدم الخوض في كثرة مساءلة الأنبياء، والتابعين والأئمة والعلماء من بعدهم.

الحديث التاسع عشر: نصيحة نبوية لترسيخ العقيدة الإسلامية.

عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلّم- يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ: رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" (النووي، 2009، ص71).

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: (احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا).

قُدِّم في هذا الحديث المفعول به الضمير الهاء في (كَتَبَه) على الفاعل لفظ الجلالة (الله) في موضعين متناقضين، النفع والضر، وهذا يدخل في غرض الاختصاص، ويدلّ على أنّ الضر والنفع خاص بالله وحده ومنسوب إليه، هو الذي يضر وهو الذي ينفع سبحانه، فإن أصابك نفع أو ضر من أحدهم، فإنّ الله هو الذي سبّبه لك على يديه لحكمة من الحكم تكون ظاهرة أو باطنة، "فإنّ العبد إذا علم أنّه لن يُصيبه إلاّ ما كتب الله له من خير وشرّ، ونفع وضرّ، وأنّ اجتهاد الخلق كلّهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، عَلِم حينئذ أنّ الله وحده هو الضّارّ النّافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربّه عزّ وجلّ، وإفراده

بالطاعة" (الحنبلي، 1999، ص484)، لهذا قُدِّم المفعول به الضمير (الهاء) على الفاعل (الله) للدلالة على أنّ ما يتعرض له العبد من نفع وضر كلّه عائد إلى الله ومنسوب إليه عزّ وجلّ.

الحديث الثامن والعشرون: السمع والطاعة والالتزام بالسنة.

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" (النووي، 2009، ص89).

هذا الحديث فيه دعوة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- في شكل وصية لأصحابه والمسلمين من بعدهم للالتزام بتقوى الله، والتمسك بالمنهج القويم الذي بيّنه لهم والذي عليه الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وفيه أيضا دعوة بعدم الخروج على ولي الأمر، ونظرا لأهمية هذا الأمر بالنسبة للمسلمين وثقله عليهم، في حياتهم وقابل أيّامهم، جاء تقديم المفعول به الضمير (نا) على الفاعل (رسول الله) في جملة (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَوْعِظَةً...)، وهو من باب الاهتمام بالمفعول به والتأكيد عليه من أجل التنبه لأهمية هذا الأمر وخطورته في نفس الوقت، فالمسلمون هم المقصودون بهذه الموعظة، وهم الملزمون بتنفيذ هذه الوصية.

الحديث الحادي والثلاثون: الزهد في الدنيا وثمرته.

"عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ"" (النووي، 2009، ص96).

وقع تقديم المفعول به الضمير (ك) على الفاعل لفظ الجلالة (الله) والفاعل (النّاس) في الجملتين الأخيرتين على التوالي، دلالة على أهمية المفعول بالنسبة للفاعل، أي أهمية الزاهد في الدنيا بالنسبة لله، وأهمية الزاهد فيما عند الناس بالنسبة للناس، فقد "اشتمل الحديث على وصيتين عظيمتين: إحداهما: الزهد في الدنيا، وأنّه مقتض لمحبة الله عز وجل لعبده، والثانية: الزهد فيما في أيدي الناس، وأنّه مقتض لمحبة الناس" (الحنبلي، 1999، ص177). وبذلك فإنّ الزاهد في الدنيا مهم بالنسبة لله، فاقتضى بذلك محبته، وكذلك فإنّ الزاهد فيما في أيدي الناس مهم بالنسبة للناس، فاقتضى بذلك محبتهم.

2.6 تقديم الجارالمجرورعلى المفعول به:

الحديث الرابع والثلاثون: تغيير المنكر، ومراتبه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (النووي، 2009، ص100).

قُدِّم في هذا الحديث مكمل الجملة الفعلية الجار والمجرور (مِنْكُم) على المفعول (منكرا)، وغرضه التخصيص، خاصة وأنّ الجار والمجرور جاء متعلقا بالفعل (رأى)، فكان تخصيص الخطاب منصبا على كل فرد من المسلمين رأى منكرا، فواجب عليه تغييره، وذلك حسب قدرته واستطاعته، وقد جاء الترتيب في هذه الاستطاعة من التغيير باليد خاصة لأصحاب السلطة والأمر على المسلمين كالولاة والمسؤولين وحتى أرباب الأسر، إلى التغيير باللسان وهو خاص بذوي العلم والأئمة، ثم التغيير بالقلب لمن لا يملك الأمرين السابقين، ومراتب التغيير مُتعلقة بمراتب الإيمان. كما أنّ هذا الحديث يُؤسس لقاعدة مهمة من قواعد الإسلام، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركها له عواقب وخيمة على النفس والمجتمع.

3.6 تقديم الخبرشبه جملة على المبتدأ وجوبا:

من أغراض تقديم الخبر شبه جملة على المبتدأ هو الاختصاص، والحصر والقصر، وممّا جاء منه في الأحاديث:

الحديث الثاني عشر: ترك ما لا يعني، والانشغال بما يُفيد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "مِنْ حُسْنِ إسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (النووي، 2009، ص64).

في هذا الحديث تقدم فيه الخبر شبه الجملة الجار والمجرور (من حسن...)، وفيه اختصاص لبعض ما يحسن به إسلام المرء، وبالتالي هو تنبيه لما يأتي بعده باعتبار أن شبه الجملة هي جملة ناقصة من حيث الإفادة تنتظر ما يُكمل معناها، وهو ما نجده متضمنا في المبتدأ المؤخر (تركه...) ما لا يعنيه، إذن فالحديث هو أصل من أصول الأخلاق والأدب، فهو يحث الإنسان على أن يدع ما لا يعنيه؛ فذلك أحفظ لوقته لأنه يستثمره بما يعود عليه بالنفع، وأسلم لدينه ببعده عن سفاسف الأمور ومرذولها. كما أن كمال إسلام المرء يكون في ترك اللغو والفضول، والاشتغال فيما يعنيه من شؤون دِينه ودنياه، فإذا كان مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، فمِن حُسنه إذًا اشتغالُه فيما يعنيه. "فينبغي للإنسان أن يتطلب محاسن إسلامه فيترك ما لا يعنيه ويستريح، لأنه إذا اشتغل بأمور لا تهمه ولا تعنيه فقد أتعب نفسه." (العثيمين، 2004، ص182).

الحديث العشرون: الحياء من الإيمان.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" (النووي، 2009، ص73).

في هذا الحديث، تقدّم الخبر شبه جملة المكون من جار ومجرور وما تبعه (ممّا أدرك الناس ...)، والذي يُمثل خبر (إنّ)، على اسمها (إذا لم تستحِ ...)، وهو يُفيد التأكيد على شيء والتشويق إليه في نفس الوقت، فالتأكيد هنا على أنّ الحياء هو من الأخلاق التي تنتمي إلى النبوّة الأولى؛ أي النبوّة التي سبقت نبوّة محمد -صلى الله عليه وسلّم- وهو خلق الأنبياء والرسل من قبل ومن بعد، وقد وصل إلينا سواء عن طريق القرآن، أو عن طريق السنة النبوية، أو عن طريق ما تناقله الناس، وهو من الأخلاق العظيمة التي ترفع صاحبها سواء عند خالقه أو بين الناس، ولعظمته، جاء ذكره في الحديث مؤخرا للتشويق إليه بعد نسبته إلى أخلاق الأنبياء السابقين واللاّحقين، وهذا ممّا يدل على أهميته وبالتالي الحث على الاتصاف به في مواطنه المحمودة.

4.6 تقديم لفظ على لفظ من غير العامل:

الحديث الثاني والثلاثون: لا ضَرر ولا ضِرار.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَارَ" (النووي، 2009، ص97).

في هذا الحديث نهي واضح عن إلحاق الضرر على وجه العموم سواء بالنفس أو بالغير، أكان ذلك بقصد أو بغير قصد، فمعنى الضرر: إلحاق الأذى بالنفس أو بالغير من دون قصد، ومعنى الضرار: إلحاق الأذى بالغير بقصد وعن عمد، والضِرار على وزن فِعال؛ أي مقابلة الفعل بالفعل، وهذا يعني مقابلة الضرر بالضرر والأذى بالأذى، ولا يكون ذلك إلاّ عمدا.

وقد قُدِّم لفظ (ضَرر) على لفظ (ضِرار)، لأنّ الأول يكون المنع فيه عن الضرر مطلقا سواء بقصد أو بغير قصد، فمن باب أولى منع الضرر المطلق، ثم يكون بعد ذلك النهي عن الضرر الخاص الذي يكون فيه مقابلة الأذى بالأذى أو الانتقام، وكذلك فإنّ تقديم النهي عن العام المطلق يكون فيه منع للفتن والخصام بين المتشاركين في الضرر وبالتالي منع للضرر الخاص، فهو نهي عن الضرر العام قبل أن يصل إلى مرحلة الضرار الذي فيه مقابلة في الأذى والخصومات، ممّا يُفسد العلاقات ويقطع الأرحام والصلات.

7. خاتمة:

قمنا خلال المراحل المتتابعة لهذه الدراسة بالبحث في دلالات تشكلات اللغة العربية، الناتجة عن أسلوب من أرقى أساليبها، هو أسلوب التقديم والتأخير المشكل لكلام خير الأنام، من أجل فهم مقاصده وغاياته الجليلة، وكانت البداية بتوضيح بعض المفاهيم والمصطلحات التي لابد منها، مثل: مفهوم التقديم والتأخير، ومفهوم الحديث النبوي الشريف، كما عرفنا بمدونة الدراسة (الأربعين النووية)، وترجمة صاحبها (النووي) ، ثم عملنا على مقاربة لغة أحاديث الأخلاق في المدونة، منقبين عن أنماط أسلوب التقديم والتأخير الموجودة فيها، مبرزين أهم الدلالات المقصودة، وقد أسفرت هذه الدراسة عن بعض النتائج المهمة التي نوجزها كما يلي:

- كان التقديم والتأخير عند النحويين يخضع لشروط القاعدة النحوية التي استقروها من كلام العرب، ويبنون عليها استعمالاتهم للغة وإنتاج المعاني، لكن البلاغيين يُعلقون التقديم والتأخير بنظم الكلام؛ أي يبنون المعاني المقصودة في النفس، ويضعون النظم المناسب لها تقديما وتأخيرا، مع مراعاة القاعدة النحوية.

- يمثل الحديث النبوي الشريف أرقى أنواع الخطابات بعد القرآن الكريم، بما يحويه نصه من أساليب بلاغية وفنية تبلغ معانيها النفوس، ومن بين هذه الأساليب أسلوب التقديم والتأخير.

- احتوت المدونة المدروسة على عدة أنماط لأسلوب التقديم والتأخير من بينها:

بالنسبة للجملة الفعلية نجد تقديم المفعول به على الفاعل الذي كان الغالب، وجاء على عدة أشكال (الاسم الموصول، الضمير...)، ليكشف لنا عن أغراض التشويق، والتخصيص، وغيرها.

كذلك تقديم الجار والمجرور على المفعول به لغرض التخصيص.

بالنسبة للجملة الاسمية نجد تقديم الخبر شبه جملة على المبتدأ لغرض التخصيص والتنبيه، والتأكيد والتشويق.

وأيضا تقديم لفظ على آخر من غير العامل، وفي هذه الحالة لا تُرتب الألفاظ وفق قاعدة نحوية، إنّما يتم التقديم والتأخير بين الألفاظ للضرورة البلاغية التي يقتضيها الحال، وقد كان التقديم هنا لغرض النهي عن الأذى العام قبل الخاص.

المراجع

- ابن رجب الحنبلي. (1999). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الجاحظ. (1998). البيان والتبيين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- المبرد. (1994). المقتضب. مصر: وزارة الأوقاف.
- سيبويه. (1983). الكتاب. مصر: عالم الكتب.
- عبد الغني الدقن. (1994). الإمام النووي. دمشق: دار القلم.
- عبد القاهر الجرجاني. (2000). دلائل الإعجاز. مصر: مكتبة الخانجي.
- محمد بن صالح العثيمين. (2004). شرح الأربعين النووية. الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.
- محيي الدين النووي. (2009). الأربعون النووية. جدة: دار المنهاج.